

إيران تخسر القبائل العراقية

بواسطة [فيليب سميث \(/ar/experts/fylyb-smyth-0/\)](#)

ديسمبر

متوفر أيضًا باللغات:

/ (English (/policy-analysis/iran-losing-iraqs-tribes

(Farsi (/fa/policy-analysis/ayran-dard-qbayl-raq-ra-az-dst-myhdhd

عن المؤلفين



فيليب سميث (/ar/experts/fylyb-smyth-0/)

فيليب سميث هو باحث في جامعة ماريلاند ورئيس تحرير المدونة 'موكب' حزب الله.



تحليل موجز

بين الاحتجاجات المتصاعدة وتيرتها في مختلف أرجاء البلاد واستقالة رئيس الوزراء عادل عبد المهدي خلال نهاية الأسبوع الماضية سلّطت الأحداث الأخيرة التي شهدتها العراق الضوء على مستقبل النفوذ الإيراني على بغداد. فغالبًا ما توصف طهران بأنها محرك دمي خفية تشغل بالكامل ميليشيات شيعية ووكلاء آخرين تابعين لها في خدمة أهدافها في العراق. لكن العديد من هذه الجهات الفاعلة لديها ولاءات قبلية أيضًا تقف على طرفي نقيض أكثر فأكثر مع الولاءات الإيرانية – وذلك بشكل جزئي ردًا على الأفعال التي ارتكبتها جماعات وكيلة بحق قادة القبائل وكذلك لأن الميليشيات فشلت فشلًا ذريعًا في توفير الأمن المناسب أو كبح الفساد وبالتالي في وقت تواصل فيه طهران مسعاها لجمع الحكومة العراقية والسيطرة عليها قد تكون قوة القبائل الشيعية وتلك المختلطة مصدر تفوّق على الوكلاء المكلفين بإنجاز هذه المهمة بمن فيهم "قوات الحشد الشعبي".

معضلة الخفاجي

من القبائل الشيعية الرئيسية جنوبي العراق تقدّم قبيلة "الخفاجة" مثالًا على اتجاهين رئيسيين: كيف تميل القبائل إلى دعم الحصان الأقوى وكيف يمكن لجهود طهران للضغط عليها أن تعطي نتائج عكسية. خلال حكم صدام حسين أرسلت أطراف من قبيلة "الخفاجة" آلاف المقاتلين للانضمام إلى قواته المسلحة خلال حرب إيران-العراق وعندما أطلق أبناء طائفتهم الشيعة حركة تمرد في الجنوب عام 1991. لكن في وقت لاحق ومع انتهاء الاحتلال الأمريكي الذي بدأ بغزو العراق في العام 2003 وتصادم حدة الانتفاضة السورية لتصبح حربًا بدأت العديد من فصائل القبيلة بالاصطفاف أكثر إلى جانب المنظمات المدعومة من إيران.

ففي العام 2012 مثلًا انفصل رجل الدين القبلي الشيخ أوس الخفاجي عن القائد الشيعي العراقي مقتدى الصدر وشكّل "قوات أبو الفضل العباس" المدعومة من إيران وهي جماعة استُخدمت لتجنيد وإرسال المقاتلين دعمًا لنظام الأسد في سوريا. ومن بين الوجوه القبلية البارزة الأخرى الشيخ رعد الخفاجي الذي تردّد أنه عمل كقائد ضمن الجماعة التي صنفتها الولايات المتحدة على لائحة الإرهاب "كتائب حزب الله" والتي تُعتبر أحد وكلاء إيران الأكثر ولاءً وتمسكًا بالإيديولوجية.

لكن موقف القبيلة بدأ يعارض هذه الروابط في شباط/فبراير 2019 عندما اعتقلت "قوات الحشد الشعبي" الشيخ أوس وأوقفت أنشطة "قوات أبو الفضل العباس". وعلى ما يبدو أن حملة القمع هذه التي طالبت الميليشيا (blank) شُنت بسبب اتهامه طهران بالتورط في اغتيال أخيه في القبيلة علاء مشذوب وهو كاتب اشتهر بانتقاد تدخل إيران في العراق. وسابقًا كانت "قوات أبو الفضل العباس" تجنبت نشر المشاكل القبلية في العلن في حين ركّز الشيخ أوس الذي اشتهر بصراحته على المسائل الطائفية والأمنية غير أنه بعد اعتقاله أصبحت مصادر القلق القبلية محور الاهتمام.

وفي البصرة على سبيل المثال أعطى قادة "الخفاجة" الحكومة المركزية مهلة 48 ساعة للكشف عن مكان وجود الشيخ وعن حالته

الصحية في وقت هدد فيه الزعيم القبلي المحلي عادل الخفاجي بإغلاق المراكز الحدودية مع إيران ردًا على الاعتقال كما دعا فصيل بغداد التابع للقبيلة إلى إطلاق سراحه فنظم احتجاجات خارج المنطقة الخضراء وبالقرب من مقرات "قوات أبو الفضل العباس" المقفلة في العاصمة

وفي أيار/مايو أعلنت القبيلة أنه تم إطلاق سراح الشيخ أوس وأسقطت التهم الموجهة إليه لكن المصالحة مع طهران بدت مستبعدة وبعد شهرين أفادت تقارير عن خطف شقيقة الشيخ وعائلتها في أهواز إيران ورغم أنهم تمكنوا من الفرار من قبضة الخاطفين بعد فترة قصيرة إلا أن هذه الحادثة كانت ربما وسيلة إيران لتحذيره كي يكون أكثر تعاونًا معها أو على الأقل أن يقف على الحياد غير أن الشيخ لم يتراجع البتة ودعم علنًا الاحتجاجات المناهضة للحكومة ولإيران التي اندلعت في مختلف أنحاء البلاد خلال فصل الخريف الحالي باستخدام حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي للتأكيد على مطالب المتظاهرين المحقة وعلى نحو مماثل رفع أفراد آخرون من قبلية "الخفاجة" ولا سيما الشباب منهم شعارات في مختلف أنحاء بغداد لدعم الاحتجاجات

صحة القبائل المختلطة

في حين أن بعض القبائل الأوثق صلة بهذا الحديث هي ذات تركيبة شيعية بمعظمها إلا أن قبائل أخرى هي أكثر تنوعًا بحيث تضم فصائل سنّة كبيرة وتتقوم بعض هذه القبائل حاليًا بالتقليل من أهمية الفوارق الطائفية وبعتماد نهج موحد أكثر ردًا على ازدياد الغضب إزاء الضغوط الناتجة عن إيران ووكلائها والشعور بالإهمال من جانب بغداد واستمرار المخاوف الأمنية

"الخرزج". تستقر هذه القبيلة شمالي بغداد في محافظة صلاح الدين حيث يتمركز أفرادها الشيعة حول الدجيل ويعيش معظم أفرادها السنّة بالقرب من تكريت ولأسباب موضحة أدناه تنازع العديد من أفرادها مع عناصر "الحشد الشعبي" الخاضعين لإيران

وفي آذار/مارس 2015 نقل موقع "العرب" أن ميليشيا "سرايا طليعة الخرساني" (اللواء 18 ضمن الحشد الشعبي) الخاضعة لإيران اختطفت أفرادًا من قبيلة "الخرزج" وقتلت عددًا غير معروف من أفرادها الشيعة وردًا على ذلك قام سكان محلة الخرزج المحليون باختطاف عناصر من الميليشيا

هذا وجرت عمليات انتقام مماثلة عندما اغتيل ابن القبيلة العقيد في وزارة الداخلية حسين علي فيصل الخرزجي على يد "مسلحين مجهولين" في تموز/يوليو 2018. واشتبهُ إلى حد كبير بأن يكون القتلة من عناصر جماعة "عصائب أهل الحق" أحد أبرز وكلاء إيران التي تشكّل الألوية 41 و42 و43 من "قوات الحشد الشعبي". وعندما عاد موكب جنازة العقيد من النجف إلى الدجيل اختطف عناصر "عصائب أهل الحق" شيخين بارزين من قبيلة "الخرزج" وقد وُجدا معدمين لاحقًا وقد تسببت هذه الحادثة بقتال استمر لأيام وأسفر عن مقتل 4 من عناصر "عصائب أهل الحق" و3 من أفراد القبيلة وقد دعا قادة القبيلة علنًا "عصائب أهل الحق" إلى الانسحاب من الدجيل ومناطق قبلية أخرى ذات أغلبية شيعية مطالبين باستبدال قوات الجماعة بميليشيا "سرايا السلام" التابعة لمقتدى الصدر في رسالة واضحة داعمة لخصم إيران الشيعي الأبرز والفصيل الذي انشقت عنه "عصائب أهل الحق".

وبحسب صحيفة "القدس العربي" كانت الاشتباكات الحلقة الأحدث في صراع تمّ التغاضي عنه بين قبيلة "الخرزج" و"عصائب أهل الحق" بدأ منذ سنة على الأقل وتتردّد أن "عصائب أهل الحق" اغتالت العديد من أفراد القبيلة التابعين لـ "سرايا السلام" وقوات الأمن العراقية كما اتُهمت الجماعة بالتورط في أنشطة إجرامية استهدفت أفراد من القبائل والأراضي التي يملكونها

ورغم لقاءات المصالحة مع الأعداء لا تزال التوترات مستمرة حتى اليوم وبحسب الكلمات التي استخدمها مقاتل شيعي في قبيلة "الخرزج" ومقاتل سابق في "سرايا السلام" لم يرد الكشف عن هويته "فحتى إن كانت الأوضاع هادئة مع [الجماعات المدعومة من إيران في مناطقنا] نحن لم نعد نرغب في وجودها" احتجاجاتنا هذه لأسباب متعددة ... وهذه المسألة تكتسي بدورها أهمية".

شقر منذ العام 2016 ساعد أفراد هذه القبيلة على قيادة تحوّل العراق الأوسع نطاقًا نحو هوية قبلية أقوى باعتبارها محط اهتمام اجتماعيًا وسياسيًا وإذ تُعتبر من بين أكبر القبائل في الشرق الأوسط يمتد نفوذ "شقر" عبر السعودية والكويت والعراق وسوريا حيث لأفرادها من السنّة والشيعة ولاءات مختلفة على سبيل المثال أصبح بعض شيعة القبيلة قادة في أشدّ الميليشيات الإيرانية طائفية في حين انضمّ بعض الأفراد من السنّة إلى تنظيم "الدولة الإسلامية" بينما انضمّ سنّة آخرون إلى ميليشيات مناهضة للتنظيم وتحوّل البعض من دعم الفصائل المتمردة ضمن "الجيش السوري الحر" في سوريا إلى تأييد ميليشيات ذات ميول قبلية على نحو أكبر تركّز على حماية مصالح قبيلة "شقر" في المنطقة والتخطيط لها (مثلًا "قوات الصناديد").

وامتد التحوّل الأخير ليطال الداخل العراقي ولا سيما بعدما اختطف تنظيم "الدولة الإسلامية" أكثر من ثلاثين شخصًا من قبيلة "شقر" ونفذ هجمات في مناطق شمال بغداد خلال فصلي ربيع وصيف العام 2018. وحين عجزت الحكومة المركزية ووكلاء إيران عن الردّ بالشكل المناسب على هذه الأحداث شكّل ذلك نقطة تحوّل بالنسبة للعديد من أفراد "شقر".

واليوم يشغل حسين علوان – مقاتل سابق مع "جيش المهدي" التابع لمقتدى الصدر الذي كانت لديه انتماءات مع عدد من الميليشيات

المدعومة من إيران في السابق – منصب الزعيم والمتحدث باسم شيعة "شقر" الساعين إلى الحصول على حماية وخدمات واعتراف أكبر من الحكومة العراقية. وفي عدد من المقابلات مع الكاتب صرّح قائلاً: "سواء كنا سنة أو شيعة سنفعل أي شيء من أجل قبيلتنا ... فـ "قوات الحشد الشعبي" لا تقوم بما يكفي لتوفير الأمن. ونحن أساساً قادة في هذه الجماعات ولكننا بحاجة إلى قوة من صلبنا ... من أجل إيصال رسالة". وفي تموز/يوليو 2018 أوصلت فصائل من هذه القبيلة تلك الرسالة من خلال تشكيل "لواء شقر في بغداد". ورغم أنه لم يتم نشر هذا اللواء عسكرياً إلا أن مؤيديه واصلوا الاحتجاج على ظروف القبيلة المعيشية الفقيرة – في حملة دفعت ببعض أفراد القبيلة إلى المشاركة في التظاهرات الحاشدة التي عمّت شوارع بغداد وغيرها من المدن في الآونة الأخيرة.

التعبئة القبلية وأعمال العنف

ناهيك عن إظهار الدعم للاحتجاجات الوطنية لعب بعض أفراد القبائل دوراً رئيسياً في أعمال الانتفاضة الأكثر عنفاً في بغداد والبصرة وذبي قار وميسان. تولت هذه العناصر مسؤولية التخطيط لتكتيكات الاحتجاجات وإقفال الطرقات وحتى الانتقام من جماعات مدعومة من إيران.

وكان هذا الميل نحو الانتقام قد نتج عن مقتل العديد من المحتجين على يد قوات الأمن الحكومية ووحدات "الحشد الشعبي" المدعومة من إيران. ومنذ ذلك الحين أصبحت الجماعات القبلية تتولى رسم معالم المواجهات في بغداد مفضلةً بدور الصوت الرئيسي الذي يحدّ الحكومة على كبح قواتها و"قوات الحشد الشعبي". وفي أمثلة أخرى كان الردّ أقوى – ففي 25 تشرين الأول/أكتوبر اختار بعض أفراد القبائل الانتقام لمن سقط منهم من خلال حرق أكثر من عشرة مقرات لمنظمات مدعومة من إيران في جنوب العراق.

هل يفقد الصدر السيطرة

حاول مقتدى الصدر أن يكون الوجه السياسي لأولئك المحتجين على النفوذ الإيراني وانتهاكات الحكومة لكن في وقت لا يزال فيه نفوذه على السياسة الوطنية قوياً إلا أن سيطرته على حلفائه من القبائل قد تكون محدودة. فقد شهدت الأحياء الفقيرة من مدينة الصدر في بغداد – وهي منطقة دعم رئيسية له وملجأً للآلاف من أفراد القبائل الذين انتقلوا من المناطق الريفية – بعض أكثر الاحتجاجات حدّةً واستناداً إلى تقرير نشرته "بيوروك تايمز" في 20 تشرين الثاني/نوفمبر عوّل قائد أحد الاحتجاجات المرتبط بالصدر على شبكة من المعارف القبلية من أجل الحشد للتظاهرات هناك بدلاً من استخدام مكاتب الصدر الخاصة. وبالفعل فقد تمّ تنظيم العديد من الاحتجاجات التي هزّت بغداد منتصف تشرين الأول/أكتوبر من خلال هذه الروابط بعدما كان أفراد القبائل من بين الذين أصيبوا أو قُتلوا في وقت سابق من الشهر المذكور.

كما أثّرت تساؤلات حول سلطة الصدر على القبائل الشيعية حين قُتل قائد "عصائب أهل الحق" وشقيقه في العمارة في الشهر نفسه عقب تقارير عن مقتل عشرة محتجين. واستناداً إلى بعض الناشطين نشأ الحادث عن صدامات بين "سرايا السلام" و"عصائب أهل الحق" في إشارة إلى أن بعض أعضاء ميليشيته ربما يتصرفون على هواهم ويدفعهم قلقهم على مصالحهم المحلية والقبلية. ومنذ ذلك الحين أعلن الصدر أنه قد يدعو "سرايا السلام" إلى "حماية المحتجين" ويحدّ في الوقت نفسه المتظاهرين على الحفاظ على مقاربة غير عنيفة – في مسعى ربما لاستعادة مركزه وسط تناهي بروز فصائل قبلية مستقلة. وقد تكون مثل هذه المناورات قد أجمت احتمال اللجوء إلى العنف. بخاصةً مقابل نفور قديم في أوساط مؤيدي الصدر تجاه طهران ودعوات قبلية للانتقام والإطاحة بعبد المهدي وغياب التغييرات الجوهرية والردود الأمنية الصارمة من قبل بغداد ووكلاء إيران.

خيارات السياسة الأمريكية

خلال السعي إلى وسائل مبتكرة من أجل إبعاد القبائل الشيعية والسنية مؤقتاً على الأقل عن إيران يتعين على صناع السياسة معالجة المشاكل الفعلية التي تركّز عليها حالياً هذه الفصائل. فالولايات المتحدة مثلاً لطالما ركّزت على توفير الحلول الأمنية والعسكرية للحكومة المركزية في بغداد. ولكن من خلال توسعة هذا التركيز ليشمل إعادة تدريب وتجهيز بعض الفصائل التابعة للقبائل الشيعية المحلية يمكن لواشنطن القيام بما هو أكثر بكثير من أجل إظهار قوتها الناعمة والصارمة خلال مواجهتها قوة إيران.

ولعل الأمر الأكثر أهمية هو أن الخيط الدائم بين المجموعات القبلية الشيعية الساخطة كان غياب الخدمات والوظائف. ففي الماضي أنشأت العديد من القبائل شبكات المحسوبة الخاصة بها ضمن الحكومة العراقية بغية تلبية تلك الحاجات ولكن يتمّ إبقاء هذه المجموعات خارج الحكومة على نحو متزايد الآن. من جهتها لم تقم شبكات المحسوبة الإيرانية المتنامية بالكثير من أجل تلبية هذه الحاجات. وفي ظل بيئة سياسية مماثلة يمكن لمساعدة أمريكية منفذة بشكل صحيح أن تقوم بالكثير وبخاصةً من خلال منظمات غير حكومية أوروبية ودولية ومحلية خاضعة للتدقيق تركّز على تدريب الشخصيات القبلية في الحكم وتوفير الخدمات وتقديم معدات البنية التحتية الضرورية. ويتطلب مثل هذا المسعى تركيزاً أدق في واشنطن لا يقتصر على المستوى الاستراتيجي الكبير فحسب بل يكون على مستوى المدن والقرى.

أخيراً يتعيّن على المسؤولين الأمريكيين الاعتراف بأن المنشورات والبرامج التلفزيونية العربية لا تتطرق إلا نادراً إلى المشاكل القبلية.

ومن شأن تصعيد هذه المسائل والإضاءة عليها في وسائل إعلام مستقلة قائمة في/مدعومة من الولايات المتحدة على غرار "الحرّة العراق" أن يمنح القبائل صوتًا إضافيًا كما يمكنه أن يُظهر أن تدخل الولايات المتحدة أخف وأكثر مراعاة من مقارنة إيران المتشددة والتي غالبًا ما تكون غير مجدية

❖ **فيليب سميث** هو زميل "سوريف" في معهد واشنطن ومتخصص في الميليشيات الشيعية والجماعات التي تعمل لحساب إيران

موصى به



BRIEF ANALYSIS

Bennett's Bahrain Visit Further Invigorates Israel-Gulf Diplomacy

//

◆

Simon Henderson

(/policy-analysis/bennetts-bahrain-visit-further-invigorates-israel-gulf-diplomacy)



BRIEF ANALYSIS

Libya's Renewed Legitimacy Crisis

//

◆

Ben Fishman

(/policy-analysis/libyas-renewed-legitimacy-crisis)



تحليل موجز

مواجهة أزمة الغذاء في سوريا

TOPICS

(ar/policy-analysis/alsyast-alrbyt-walaslamyt/) السياسة العربية والإسلامية

(ar/policy-analysis/aldymqratyt-walaslal/) الديمقراطية والإصلاح

(ar/policy-analysis/alshwwn-alskryt-walamnyt/) الشؤون العسكرية والأمنية

المناطق والبلدان

(ar/policy-analysis/alraq/) العراق

(ar/policy-analysis/ayran/) إيران